

لهم على الذخيرة والاسلحة ، فتمكنوا خلال فترة قصيرة من تحقيق العديد من العمليات الناجحة ضد العدو دون ان يتكبدوا خسائر تذكر ، كما قام بنفسه وبمساعدة ابناء المدينة العاملين في مراكز الجيش البريطاني بالدخول الى تلك المراكز ودراستها عن كثب مما مكنته والمناضلين من تحقيق مكاسب هامة يوم انسحاب الانكليز من المدينة كما سيأتي .

حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر ١٦ نيسان ١٩٤٨ تم انسحاب الانكليز(٨) من المدينة وفي نفس الوقت قاد احسان المناضلين مهاجموا المراكز(٩) التي اخلاها الانكليز وفي أقل من ساعة واحدة كانوا قد احتلوها ودخلوا بمعركة مع المواقع الامامية لليهود واستطاعوا اجبارهم على التراجع لواقع خلفية بعد تكبيدهم خسائر فادحة(١٠). كان ذلك اليوم عرس صفد الحقيقي رغم غدر الانكليز لهم(١١). وكانت زغاريد النساء تملو اصوات الرصاص مشجعة للمناضلين وفرحة بالنصر الذي حققوه وزاد تعلق ابناء المدينة بقائدهم احسان . مع بزوغ فجر اليوم التالي (١٧ نيسان) كانت سرية من مقر قيادة جيش الانتقاذ بقيادة الملازم عبد الحميد السراج تدخل مدينة صفد ولحقها نصيلان من سرية ادلب يقودها الملازم هشام العظم(١٢) وسرية اردنية(١٣) يقودها الرئيس ساري فنيش(١٤) ويعاونه الضابط اميل جبيعان ، دخلت هذه القوات المدينة بأمر من الشيشكلي ومعها أمر منه بتعيين الرئيس ساري فنيش قائدا للحامية ومنحه سلطة اعلان الاحكام العرفية كما عين اميل جبيعان مساعدا له .

وجد احسان كملماز ان الفرصة مؤاتية مع وصول تلك القوات لاقتحام الحي اليهودي وانهاء الوضع في المدينة قبل ان يسترد العدو أنفاسه وتصله النجيدات بيد أن القائد الجديد عارض الامر بشدة مدعيا ان مهمته مع قواته دفاعية لا أكثر .

في ١٨ نيسان وصل اليهود نجيدات من البالمخ ووقعت في نفس اليوم اشتباكات بين الطرفين ولاول مرة راح اليهود يقذفون المدينة العربية بقنابل الهاون وراجمات الالغام(١٥). وشعر شباب المدينة ان مبدأ الدفاع المعتمد من القيادة من شأنه ان يقتل حماس المناضلين ويقلب الوضع لصالح العدو نتيجة التمزيزات التي كانت تصله تباعا فالتفوا حول قائدهم المحبوب احسان وراحوا يحثونه على

متابعة القتال ولم يكن احسان اقل منهم حماسا للامر فتقاد فريقا منهم وهاجموا موضعا للحي اليهودي وعلى اثر ذلك اصطدم احسان بساري فنيش بمشادة كلامية(١٦) انتهت بمغادرة احسان المدينة .

ضد ابناء المدينة جراحهم وحاولوا الالتفاف حول ساري الا ان نفسه كانت قد طفحت بالحنق والكراهية فراح يعاملهم اسوأ مما لماله(١٧).

في ١ ايار وبعد وصول النجيدات لليهود بأعداد كبيرة بعد سقوط حيفا في ٢٤ نيسان وبعض القرى القريبة من صفد(١٨) هاجم اليهود قريتي بريا وعين الزيتون(١٩) وتمكنوا من احتلالها ودمروا عين الزيتون تدميرا تاما . وعينا حاول الصنفديون اقتناع ساري بنجدة القريتين . وباحتلال القريتين المذكورتين تمكن اليهود من محاصرة المدينة من جميع الاطراف باستثناء الطريق الجنوبي الغربي للمدينة . وفي ٥ و ٦ ايار ازداد تدفق قوات العدو على صفد لسالكين طريق الجاعونة - صفد الرئيسي والقرابي خلف جبل كنعان وأقاموا اتصالا مع الحي اليهودي في المدينة عن طريق قرية عين الزيتون فأصبحت المدينة تحت سيطرتهم وراحوا يقذفونها بأسلحتهم المختلفة بكثافة .

سافر وفد من رجال المدينة على اثر ذلك الى دمشق لمقابلة المسؤولين واطلاهم على الوضع في المدينة(٢٠). وفي ٧ ايار قدم الشيشكلي الى صفد وبعد تفقده الوضع عاد الى مقر قيادته في الصفصاف(٢١) وراحت مدفعيته تقصف الحي اليهودي . وكرر القصف في اليوم التالي (٨ ايار) كما اشتبك في اليوم ذاته المناضلون واليهود بمبارك عينية صمد فيها العرب ونفذ الكثير من ذخيرتهم فراحوا ينتظرون رجوع الوفد الذي سافر لدمشق ليأتي بالنجدة والعتاد . وفيما كان الوفد في دمشق يصف الى رئيس اللجنة العسكرية الوضع في دمشق دخل عليه الشيشكلي(٢٢) الذي أكد للرئيس كل ما قاله رجال الوفد وطلب المساعدة غير ان الرئيس اجاب « العين بصيرة واليد قصيرة » . عندئذ سافر السيد زكي قدوره الى صمان وبصحبه اميل جبيعان(٢٣) في محاولة للحصول على المساعدة من هناك وقابل الملك فرد الأخير قائلا للرئيس قدوره « لم لا تذهب للقوتلي الذي دخل المعركة قبل ان يكون مستمدا لها ؟ » ولما حاول هذا اقتناع الملك بضرورة انقاذ صفد اعتذر الملك قائلا انه لا